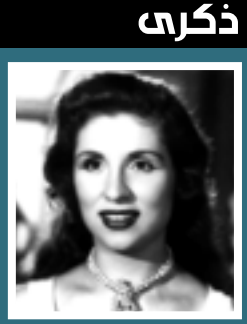
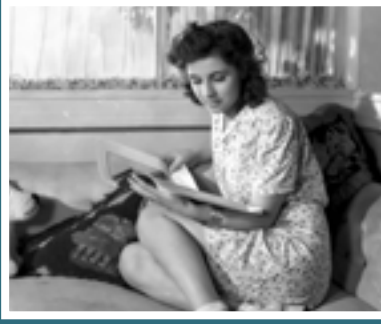
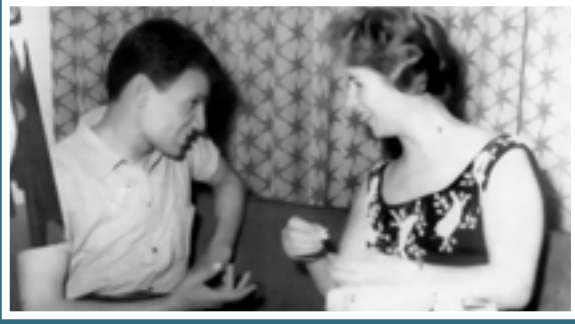


ذكرى



مطربة الأنوثة العا

ثلاث سنوات على رحيل الأسطورة

رومنسية في مصر... وجبلية في لبنان

هناء جلاّد

في أربعينيات القرن الماضي، كانت مصر قبلة أهل الفن. كل من أراد أن يضع اسمه على خارطة العالم العربي كنجم، كان عليه الإمساك بفرصة هناك، كمن قبض على حلمه. هذا ما فعلته جانيت فغالي (10 نوفمبر 1927 - 26 نوفمبر 2014) التي صارت صباح. لكن ماذا ستفعل

هذه الصبية اليافعة لتصبح واحدة من سفيرات لبنان المعتمدات في مصر أم الدنيا؟ تعاقدت معها أسيا داغر لبطولة سلسلة أفلام بعد نجاح «القلب له واحد» (1945). لقد تم الاعتراف بها كممثلة، بشكل طغي على موهبتها الأصل، صوتها الذي كان مغموراً تحت قالب طفلة لذيذة في طريقها لتصبح أنثى وشوق منتج السينما لوجه لبناني مبهج،

وجديد ليكسر غرور السابقات. وللعجب، لقيت صباح الممثلة ترحاباً وقبولاً، في حين عدّ الكثير من النقاد صوتها مقبلاً شهية مناسبة للأفلام الغنائية... مجرد ميزة مضافة لحضورها كممثلة خفيفة الظل. وحتى مطلع الخمسينات، بقي صوت صباح مجرد ظل لانطلاقها في أدوار البطولة للسينما، وترتبت الإذاعات لحين الاعتراف فنياً بالمطربة

صباح، الصبية التي ضاعت هويتها الفنية بين طقطوقة الفيلم الغنائي المصري، وصوتها الجبلي اللبناني. لقد سرقت أضواء السينما صباح من الاهتمام بصناعة هالة ملائمة لموهبتها الأصل، صوتها. في منتصف الخمسينات، صار النضوج سيد الموقف، ربما الخبرة ونصائح الأصدقاء، أو حضور ملحنين عباقرة من مصر ولبنان. وبدأت ترسم الصورة الجديدة على خطين متوازيين. في مصر الصوت الحنون بأغنيات عاطفية، وفي لبنان حنجره جبلية قوية قادرة على أداء أصعب المواويل ازدواجية في شخصيتها الفنية أم ذكاء حاد

قادر على توأمة نقيضين؟ هذه كانت شحرة لبنان وصباح مصر. تصدرت شبكات التذاكر في صالات السينما، وأسواق مبيعات الأسطوانات، لكن كيف تحظى بلقب مطربة الشرق الأولى؟ جاء الحل في حمل الأغنية اللبنانية نحو الانتشار، أصرت على أدائها في أفلامها، على خشبات العالم من مصر إلى أومبيا باريس فأوروبا، وتكثيف ظهورها في حفلات لبنان. قصداً أم قسراً، استقرت صباح في لبنان، فوقفت خلف الكاميرا بسلسلة أفلام لبنانية - سورية. حينها، كُشف المستور. صباح ليست ممثلة، هي محبوبة الجماهير، معشوقتها، أيقونة موضة لا تقارن، ومطربة من الطراز الرفيع، ما أن تفتح فمها حتى يصمت الجميع لينصت ويتوق للمزيد، لكنها ممثلة فاشلة. مع ذلك، تغاضى الجمهور كما المنتجون، والنقاد والجميع، فقط لأنهم يحبون رؤيتها، يعيشون حضورها وحركاتها، وضحكاتهم وغمزاتها، هي التي أصبحت امرأة فياضة بالأنوثة، وفساتينها أساطير. فكيف تلفظها السينما؟

أخيراً، بعدما مثلت مصر في الكثير من الفعاليات العالمية، تم الاعتراف لبنانياً بصباح. لقد دعيت إلى بعلبك، هناك وتحت عنوان «الليالي اللبنانية»، وقفت الصبوحه بين أعمدة المهرجان الدولي، الأرقى والأعرق، وغنت مع كبار نجوم لبنان، وأصبحت واحدة منهم.

في السبعينات وما بعدها، وبعد «أيام اللولو» برم الدولار. بدأ الجمال بالذوبان، وتغير الصوت، واختلقت معايير السينما، وفاز الذكاء. فأعادت الصبوحه تدوير ذاتها على الساحة اللبنانية، وولدت من جديد. نجمة تعرف كيف تبقى في الطليعة رغم أنف الزمن. اختلقت حركات ملفتة للمسرح شغلت بها العين عما تسمعه الأذن. واستبدلت السينما بالبرامج التلفزيونية فاستعانت بعفويتها وصراحتها وخفة ظلها، وبقيت تخطف الأنفاس مع كل إطلالة، بشعرها الأشقر المتوهج وفساتين تليق بالصبوحه وحدها.

من كانت هذه المرأة! طيبة وحادة الذكاء، انوثتها فياضة ونكتتها حاضرة، محترفة الدبلوماسية المبطنة بصراحة فجّة. ولم تخطئ يوماً بحق أحد زملائها. لاحقتها الشائعات ومنغصات الحياة المرّة. لكنها عاشت. عاشت حياتها الشخصية في الحب والزواج حتى الثمالة. ذابت في الفن والموضة إلى أن صارت أمثولة. من كانت تلك التي نثرت الحب والفرح حتى في مراسم رحيلها؟! هل كانت تلك المرأة حقيقية أم أسطورة كتبت حكايتها في أكثر من 80 فيلماً، ما يقارب 3000 آلاف أغنية وعشرات المسرحيات الاستعراضية، وسيرة حياة.

من كانت تلك التي نثرت الحب والفرح حتى في مراسم رحيلها؟!

